



مذكرات تحسين قذري 1894-1986 المرافق العسكري الأقدم للملك فيصل الأول

3



تفوق في الدروس الحربية وإصابة الهدف بالعتاد والرغبة دخول الخيالة

تقديم وتحقيق: أ.د. سيار الجميل

كندا



تقديم
هذه هي مذكرات الأستاذ تحسين قذري (1894 - 1986) المرافق العسكري الأقدم للملك فيصل الأول منذ التحاقه في عمليات الثورة العربية الكبرى عام 1916، و مرافقته له في الحكومة الفيصلية في سوريا، وبقائه تحت ظله على امتداد عهد فيصل في العراق ووصوله إلى رئاسة دائرة التشريعات في البلاط الملكي العراقي واستمرار وجوده ومرافقا وأمينا وسفيرا دبلوماسيا للعراق على عهد الملك غازي الأول 1933-1939م، وعهد الوصاية 1953-1958م، وعهد ابنه الملك فيصل الثاني 1953-1958م وبقى يعيش في سويسرا حتى رحيله في شهر آب / أغسطس عام 1986، وهو من أصل سوري، ولكنه تربى ودرس في العراق وشهد تاريخ العهد الملكي في العراق بطوله، فهو ذاكرة تاريخية لحياته الطويلة في القرن العشرين.



المندوب السامي البريطاني فرنسيس هنري همفريز يودع تحسين قذري عند مغادرته البلاط

هو رشاد آخر سلاطين بني عثمان، وحصلت الكثير من المشاكل في عهده من أجل توطيد الأمن في اسطنبول، وذلك لغيب القوات العسكرية للقتال ضد البلغار والصرب، لذا أنيط بنا محافظة العناء باحتساء البونج البار، وهو مزيج من البيرة وقح من القوياني، وقد أثرت كارتة حرب البلقان كثيرا بالحياة اليومية في الدولة العثمانية، وخصوصا حينما وصل الصرب واليونان والبلغار إلى مشارف اسطنبول (شمالها)، فأخذ الطلاب في المدرسة الحربية بطالبون بالالتحاق بالجبهة، ولكن القائد العسكري في اسطنبول حال دون ذلك، حيث لم تكن هناك قوة عسكرية كافية للمحافظة على الأمن في اسطنبول ذاتها، وكان الطعام المنوفر أصبح شحيحا ولا يمكن أكله.

فتحت عيادة لعلاج الأمراض الجلدية والزهرية، في موقع ملاصق لدار والذي في الشاذلية في ضاحية القنوات المحاذية لسوق الحميدية الشهير في دمشق.

مقررات الدراسة
كان من مقررات الدراسة في مدرسة "القله" في مقرى كوي في اسطنبول آنذاك، القيام بالمشاورات أثناء العملية، وأذكر أن دسعتي ذهبت إلى منطقة "جتالجه"، ورفقة طلاب مدرسة الحربية (بانفلاتي) لاجراء المشاورات لمدة شهر، وقد أمضيت الشهر بطولة نتم في العراء ونتوسد الصخور، ونمشي باليوم الواحد ثلاثين كيلومترا، وكل واحد منا يحمل من حوائجه ما وزنه ثلاثين كيلو غراما، بالإضافة إلى بنادق الماورز الألمانية الصنع، ومن ناحية أخرى فقد كوفئنا بعض الأوقات بالذهاب إلى قصر "الاصلاق" من قصور السلطان آل عثمان، وفيه حديقة غناء، وأذكر أننا ذهبنا إلى حفل ختان ابن وهيب باشا.

نجحت بتسوق في الدروس الحربية، وخصوصا في إصابة الهدف بالعتاد الحي، وكنت أرغب في دخول سلك الخيالة، وحالفني الحظ وفزت بالقرعة لأختيار طلبة الخيالة، فسرت ذلك وزاد عزمي لإتمام الدراسة بتفوق، كانت حرب البلقان قد دارت رحاها، وحصلت الهزيمة الفاجعة لحكومة العثمانيين، وكان آنذاك السلطان

إلى حصول البلاد العربية على شكل الإدارة اللامركزية من الحكم العثماني، والجمعية الإصلاحية في بيروت ذات الأهداف المشابهة.

انعقد مؤتمر باريس في 18 إبريل 1913م، وكانت غايته الاتفاق على مطالب محددة للمفاوضة مع الحكم العثماني باسم العرب جميعا، وتم هذا، وأرسلت الحكومة العثمانية طلبات مصادرة قرارات المؤتمر مندوبها إلى باريس، للاتفاق على صيغة مقبولة، وقد تم هذا بالفعل، لكن الأحداث أظهرت سوء نية الأتراك على الإبقاء بوعودهم.

حياتي في المدرسة العسكرية:
المصاريف الشهرية كانت لا تعدو الجنيه الذهب، وكان والدي يرسله لي بواسطة وكيل أعماله في اسطنبول، وكنت في أيام الجمع صبري الخوجة، وتوفيق الناطور، ثم انضم إليهم جميل مردم بك، الكثير من الحلويات والوجبات وأعطى مصاريفي والذريات، وبعد كل ذلك يتبقى بعض العائض من المال. فحجت بوفاة والدي قبل تخرجي من المدرسة الحربية بعد إصابته بالكوليرا، وأوجعني ذلك كثيرا، وزاد من الأني عدم تمكنها من رويتي بملاسي العسكرية، عندما تخرجت ضابطا، حيث كنت أعرف أنها كانت تلك أميتها، لقد زادني فسقسان والدي الأليم، تصميما على التفوق واجتهادا في متابعة الدروس في سلك الجندية. أما اختي فكان أخي زكي قد عين قائم مقام قضاء قفنة، في حين أتم أحمد دراسة التخصص الطبي،

بالاشتراك مع عوني عبد الهادي ومحمد رستم حيدر في اسطنبول، فقد انتقلت إلى باريس قبل رحيلي من دمشق، وكانت أوضح مثال على سرية العمل النظم، فالانتساب يتم بالتزكية من عضوين، بحيث لا يتعرف العضو الجديد إلا على شخصيات عضوين فقط، والاتصالات الحذرة وغيرها الكثير من الانضباط لحماية سرية العمل.

نشطت جمعية العربية الفتاة واتسعت بعد بداية نشاطها في باريس سنة 1911م، وكان هدفها النهضة والنهضة والتقدم بالعرب إلى مستوى الدول الحديثة، وضمت أول هيئة إدارية بالإضافة للمذكورين رفيق التميمي، محمد محمصاني، عبد الغني العريسي، صبري الخوجة، وتوفيق الناطور، ثم انضم إليهم جميل مردم بك، صبحي الحسيبي، الأمير مصطفى الشهابي، توفيق فايد، وإبراهيم حيدر.

وقد ارتبطت العربية الفتاة في باريس بالمنتدى الأدبي، بعد أن انضم للمنظمة سيف الدين الخطيب ورزق سلوم ويوسف مخيبر، وهم من أعضاء المنتدى في اسطنبول.

مؤتمر باريس الذي ضم ممثلين من المسيحيين العرب والجاليات العربية في دول المهجر، ومن عدة تجمعات عربية، مثل حزب اللامركزية المصري الذي يسعى إلى حصول البلاد العربية على شكل الإدارة اللامركزية من الحكم العثماني، والجمعية الإصلاحية في بيروت ذات الأهداف المشابهة.

انعقد مؤتمر باريس في 18 إبريل 1913م، وكانت غايته الاتفاق على مطالب محددة للمفاوضة مع الحكم العثماني باسم العرب جميعا، وتم هذا، وأرسلت الحكومة العثمانية على أثر صدور قرارات المؤتمر مندوبها إلى باريس، للاتفاق على صيغة مقبولة، وقد تم هذا بالفعل، لكن الأحداث أظهرت سوء نية الأتراك على الإبقاء بوعودهم.

أحمد عام 1909م بالاشتراك مع يوسف مخيبر وسيف الدين الخطيب ورفيق رزق سلوم وعبد الكريم قاسم الخليل وجميل الحسيني وأحمد عزت الأعظمي الذي قام بإصدار مجلة المنتدى. قام هذا التنظيم العلني بمساندة الطلاب الوافدين، وتعزيز شعورهم القومي العربي، وحاز على مكانة اجتماعية واحترام السلطات سواء من الزعماء العرب أو الاتحاديين، وخصوصا بعد عقد مؤتمر باريس عام 1913م، وكانت شخصية قاسم رئيس المنتدى عبد الكريم قاسم الخليل الطموحة والمعتمدة، من أهم العوامل التي ساعدت في رفعة شأن هذا التنظيم، وقد دام نشاط المنتدى إلى بداية الحرب العالمية الأولى حيث أغلق في أوائل عام 1915 م.

وكانت السرية في العمل السياسي هي النتيجة الطبيعية لظروف السائدة آنذاك، وكنت على اتصال دائم بالحركة العربية، وعضوا بالمنتدى العربي، ومن أعضاء الجمعية الامركزية عزيز علي المصري وعبد الحميد الزهراوي، ولكني كنت كثير الحذر سراحي بعد أن أمرتني المحكمة بطحن الانشغال في الأمور الشخصية.

بعض التنظيمات السياسية على الساحة العربية
تسبب جو الاضطهاد في إنشاء التجمعات العربية، وأولها "المنتدى العربي" الذي شاركت في نشاطاته، وساهم في تأسيسه أخي

العلنة إعلاء شأن القومية العربية وأبنائها ثقافيا واقتصاديا، لكن بدون إظهار أي عدا للحكم القائم، ومن سياستها دعم جمعية الاتحاد والترقي في الدفاع عن الدستور، والحفاظ على وحدة القوميات تحت راية الدولة العثمانية، بدون تعصب وبالعادلة والمساواة. ولكن كان الواقع لا يشجع هذا الشعور المثالي، فمظاهر العدا السافر للقوميات غير التركية، وخصوصا للعرب، كانت منتشرة، مما حدا بالكثير من جاليات الشعوب العثمانية لإنشاء الجمعيات السرية للدفاع عن حقوقها ومصالح شعوبها.

لم يدم الحال في صالح جمعية الإخاء العربي طويلا، ففي 31 مارس من عام 1909 م، قام أفراد الجيش في منطقة اسطنبول -بعضهم وجربوا- بالانحياز لمدة شهر، وقد أفضوا بغير تفوق نمام في العراء ونتوسد الصخور، ونمشي باليوم الواحد ثلاثين كيلومترا، وكل واحد منا يحمل من حوائجه ما وزنه ثلاثين كيلو غراما، بالإضافة إلى بنادق الماورز الألمانية الصنع، ومن ناحية أخرى فقد كوفئنا بعض الأوقات بالذهاب إلى قصر "الاصلاق" من قصور السلطان آل عثمان، وفيه حديقة غناء، وأذكر أننا ذهبنا إلى حفل ختان ابن وهيب باشا.

تحت هذه الظروف، والعودة إلى اسطنبول، واستمرار لدراستي العسكرية، ذهبت إلى اسطنبول سنة 1911 م، للالتحاق بالمدرسة الحربية في القولة لي، حيث يتجمع الطلاب من جميع أنحاء البلاد عثمانية للدراسة، وقتها كان مدير المدرسة هو وهيب بك الشهير بلقب وهيب باشا، وتولد لدي الشعور بوجوب التمثل للدفاع عن القومية العربية، أمام هجمات فرقة الاتحاد والترقي، واستعلاء أفرادها وتعظيمهم للقومية التركية، وكان من مظاهر العدا للعرب منع قراءة كتب التاريخ العربي، ولكني كنت أقرأها سرا خلال ساعات الليل، ومن مظاهر التضيق التي عشناها ما حدث معي عندما استلمت بالبريد

المدسة العسكرية رغم نجاحي في مكتب عنبر وتفوقي، إلا أن والدي كان يرغب في أن يكون مستقبلي في المجال العسكري، تخليدا واستمرارا لمسلكته، ولذلك قرر إخراجي من مدرسة عنبر الملكية، وإخالي مدرسة الرشيدية العسكرية، ولم أكن أرغب حينها في هذا القرار، وكنت اعتقد أن هذا الاختيار هو من قبيل التراجع وليس التقدم، حيث أن تفوقي في الامتحان سوف لن يؤخذ بالحسبان، وسوف أدخل الفصل المقبل لسني، لذا فقد اضضيت العام الدراسي بدون اهتمام، وكنت أراجع الدروس فقط وقت الامتحان، وكنت أفضي الليل أقرأ التاريخ العربي وبعض قصص المغامرات يشغف، ونجحت في آخر السنة نجاحا عابيا بغير تفوق كعادتي، وأذكر من هذه الفترة أستاذ اللغة العربية وأسمه المرعطي، وكان من أصل تركي، ويلبس العمامة، ومن الجدير بالذكر أن اللغة العربية كانت تدرس وتكتب بالتركية....

وكت استعمل وأنا في المدرسة العسكرية-ادبية عن العريسي، عن جدوى قيامها بإهمال الدراسة، فلم أجد الجبر، لذا عكفت من جديد على قراءة المناهج العسكرية، فوجدتها شنيعة، وازداد اهتمامي وزادت قراءتي، وحققت نجاحا كبيرا في المراحل الأولى وكنت متقدما، حتى أنني قمت بإعطاء الدروس ليليا لكثير من زملائي في الفصل.

بداية التنظيمات العربية
ابتدأت الاتجاهات المنحوية للقومية التركية تظهر من خلال الحركة الطورانية، مما دفع بالقوميات الأخرى للتمسك بحفاظا على مصالحها واستقلال شخصياتها، فانشأت النوادي والاحزاب والصحف القومية للزمن والأزناووط وغيرهم. ولاقي هذا الشعور صداد بين فريق من ذوي المقامات العالية، وأهل الراي من العرب، فانشأت جمعية الإخاء العربي، وكانت غايتها

كان من مقررات الدراسة في مدرسة "القله" في مقرى كوي في اسطنبول آنذاك، القيام بالمشاورات أثناء العملية، وأذكر أن دسعتي ذهبت إلى منطقة "جتالجه"، ورفقة طلاب مدرسة الحربية (بانفلاتي) لاجراء المشاورات لمدة شهر، وقد أفضوا بغير تفوق نمام في العراء ونتوسد الصخور، ونمشي باليوم الواحد ثلاثين كيلومترا، وكل واحد منا يحمل من حوائجه ما وزنه ثلاثين كيلو غراما، بالإضافة إلى بنادق الماورز الألمانية الصنع، ومن ناحية أخرى فقد كوفئنا بعض الأوقات بالذهاب إلى قصر "الاصلاق" من قصور السلطان آل عثمان، وفيه حديقة غناء، وأذكر أننا ذهبنا إلى حفل ختان ابن وهيب باشا.



الملك غازي والمرافق تحسين قذري على يساره أثناء إقامته في لندن، المملكة المتحدة في منتصف العشرينيات